بين الحسين بن رشيق المالكي و ابن قدامة المقدسي - دراسة أصولية تحليلية مقارنة-

Between Al-Hussein bin Rashiq Al-Maliki and Ibn Qudamah Al-Maqdisi - a comparative fundamentalist and analytical study

عبد اللطيف بوشيبة[1*]،

[1] جامعة غليزان (الجزائر)، abdellatif.bouchiba@univ-relizane.dz

تاريخ الاستلام: 2024/10/02 تاريخ القبول: 2024/11/24 تاريخ النشر: 2024/12/22

ملخص:

يُعد علم الفقه من أبرز علوم الشريعة الإسلامية، إذ يتناول مختلف القضايا والنوازل الفقهية. ومن أبرز العلماء الذين صنفوا في هذا المجال الإمامان الجليلان: ابن رشيق المالكي في كتابه *لباب المحصول*، وابن قدامة المقدسي في كتابه *روضة الناظر* .اعتمد كل منهما على كتاب *المستصفى* لحجة الإسلام الغزالي كأساس، واتبع كل منهما نهجه في التلخيص والإضافة. يدفع هذا الباحث إلى دراسة منهجيهما وتحليلهما، من خلال مقارنة طريقتيهما في تناول المسائل الأصولية مع النقد والتعليق.

كلمات مفتاحية: ابن رشيق، ابن قدامة، لباب المحصول، روضة الناظر.

Abstract:

Jurisprudence stands as one of the most significant disciplines within Islamic law, addressing a wide range of jurisprudential issues and incidents. Among the foremost scholars in this field are the distinguished imams: Ibn Rasheeq Al-Maliki, noted for his work Lubab Al-Mahsul, and Ibn Qudamah Al-Maqdisi, recognized for his text Rawdat Al-Nazir. Each scholar drew upon Al-Ghazali's Al-Mustasfa as a foundational reference, while adopting distinct approaches to summarization and elaboration. This context encourages the researcher to critically examine and analyze their methodologies, comparing their treatment of fundamental issues with insightful critique and commentary.

Keywords: Ibn Rasheeq, Ibn Qudamah, Lubab al-Mahsul, Rawdat al-Nazir.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إن الحمد لله؛ نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله؛ فلا مضل له، ومَن يُضلل؛ فلا هادي له، وأشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد : فإن من رحمة الله بعباده أن أنزل لهم شريعة محيطة بجميع أحكام الحوادث بيانا وإيضاحا، شاملة لكل الوقائع إقامة وإصلاحا، لا تعجزها النوازل – على كثرتها – في جميع العصور عن بيان سبيل الهدى وطريق الحق فيها، وهذا من أسرار بقائها وخلودها وأسباب ثباتها وصمودها، وجعل بابها الذي يلج به إليها الفقه في الدين؛ بل إنّ من أجل الطاعات و أعظم القربات وأسمى ما ترمي إليه همم البشر في الحياة الدنيا؛ بل هو الغاية التي ليس فوقها إلا درجة النبوة ، وجعل مفتاح هذا الباب وهو الفقه في الدين علم أصول الفقه، الذي قال فيه الإمام الغزالي رحمه الله : ((وأشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع واصطحب فيه الرأي والشرع، وعلم الفقه وأصوله من هذا القبيل فإنه يأخذ من صفو الشرع والعقل سواء السبيل، فلا هو تصرف بمحض العقول بحيث لا يتلقاه الشرع بالقبول ولا هو مبني على محض التقليد الذي لا يشهد له العقل بالتأييد والتسديد)) (الغزالي، 1998، ص 350).

وذكر ابن خلدون رحمه الله (2004، ص 573)أنه – أصول الفقه - من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدرا و أكثرها فائدة " المقدمة لابن خلدون ؛ بل حتى قال عنه الطاهر بن عاشور- رحمه الله – ((هو رئيس العلوم الشرعية على التحقيق)) حاشية التوضيح والتصحيح(5/1).

فكل فضيلة ثبتت للتفقه في الدين فعلم أصول الفقه شريك له فيها إذ هي الوسيلة التي يتوقف عليها استخراج الأحكام الشرعية، التي تسمى معرفتها فقها؛ ولهذا سمي أصول الفقه؛ لأنه الأصل و الأساس الذي لا يقوم الفقه إلا عليه،

وعلم أصول الفقه قديم نشأته منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم؛ حيث كانوا يوظفون القواعد الأصولية في فتاويهم وأحكامهم، وذلك لأن سليقتهم العربية مكّنتهم من فهم معاني النصوص، وإدراك مقاصد الشريعة، بالإضافة إلى شهودهم للتنزيل و أسرار التشريع

جعل عندهم القدرة التامة على الاجتهاد واستنباط الأحكام دون أن يكون لهذا العلم صورة واضحة بيّنة المعالم، كما هو عليه الآن .

واستمر هذا العلم في نقله وتطوره دون تدوين و لا تقعيد إلى أن جاء الإمام الشافعي رحمه الله، الذي بذر أول نواة في التأليف و التأصيل لهذا العلم الشريف، بتأليفه كتاب الرسالة، الذي وضّح فيه ماهية هذا العلم، وتعرض إلى مجمل مسائله وفروعه .

ولقد واصل هذا العلم نموه وتطوره بعد ذلك ؛ حيث أنه حفل بمؤلفات كثيرة جدا بعد ذلك ما بين مبسوط ومختصر، وما بين شرح وحاشية، وما بين نظم ونثر .

إلى أن جاء القرن السادس الهجري وبلغ هذا العلم أشدّه، ونمى واشتد ساقه؛ حيث ظهرت كوكبة من العلماء الذين كان لهم دور كبير في تطور هذا العلم، وأخصّ بالذكر حجة الإسلام ومفخرة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله بكتابه الفذّ الفريد : "المستصفى" ، الذي أحدث طفرة ومنعرجا حاسما في تطور هذا العلم من الناحية العلمية، وكذلك من ناحية السهولة في عرض المباحث وتنسيقها، واحتفى أهل العلم بهذا الكتاب أيّما احتفاء، وانكبوا وعكفوا على دراسته وتدريسه وشرحه، واختصاره وترتيبه وتهذيبه ومن أشهر اختصاراته كتابان نفيسان من عالمين جليلين وهما :

"لباب المحصول في علم الأصول" للحسين بن رشيق المالكي، و"روضة الناظر وجُنَّة المُنَاظر" لموفق الدين ابن قدامة المقدسي الحنبلي، الذَيْن لم يكتفيا بالاختصار وتهذيب فقط؛ بل أضافوا إضافات لهذا العلم، وكذلك تعقبوا بعض المسائل التي أوردها الغزالي في كتابه، وحققوا فيها ودقّقوا ، ونظرا لقيمة هذين الكتابين العلمية؛ فإني رأيت أن أجمع المسائل والآراء الأصولية من هذين الكتابين و القيام بدراسة تحليلية مقارنة بينهما .

وجعلت عنوان هذا البحث : **بين الحسين بن رشيق المالكي و ابن قدامة المقدسي دراسة أصولية تحليلية مقارنة .**

اشتملت هذه الدراسة على معالجة بعض الإشكالات التي تعرض للباحث نذكر منها:

- من هو كل من : الحسين بن رشيق المالكي وموفق الدين بن قدامة وما البيئة التي نشآ و عاشا فيها وما تأثيرها على شخصيتهما العلمية ؟

- ما منهجهما في كتابيهما وما وزنهما، وقيمتهما في علم أصول الفقه ؟

ما علاقة كتابيهما بكتاب المستصفى للغزالي ؟

اشتملت الدراسة على مقدمة وثلاثة مطالب وخاتمة .

المطلب الأول : التعريف بابن رشيق المالكي

المطلب الثاني : التعريف بابن قدامة المقدسي

المطلب الثالث : التعريف بكتابيهما الأصوليين مع بيان الفروق بينهما

2. المطلب الأول : التعريف بابن رشيق المالكي

1.2 مولده ووفاته ونشأته العلمية :

ولد الحسن بن رشيق المالكي رحمه الله تعالى في مدينة الإسكندرية سنة 549 هـ، وهذا باتفاق كتب السيرة و التراجم، إلا ما ذكره محمد مخلوف في كتابه شجرة النور الزكية شجرة النور الزكية (166) ، أنه ولد سنة 547 هـ، و الأول هو العمدة والصواب، لأن المنذري و هو أخص تلاميذه قال: ((سمعته يقول - يعني الحسين بن رشيق - ولدت بالإسكندرية في ثالث شعبان سنة تسع و أربعين و خمسمائة)) التكملة لوفيات النقلة (المنذري، 1985، ص 55)

لقد عاش بن رشيق المالكي رحمه الله في عصر زاخر بالنهضة العلمية، و النشاط الثقافي في عصر الدولة الأيوبية، وخاصة في مسقط رأسه، ومرتع صباه ونضوجه بالإسكندرية، التي كانت قبلة العلماء و طلاب العلم، حتى أن صلاح الدين و أبناؤه من الأمراء كانوا يأتون لحضور مجالس علمائها .

فهو من بيت علم و صلاح، فتربى في كنف هذا البيت و نشأ فيه. و لاغرو فقد خرّجت أسرة بن رشيق نخبة من علماء المالكية وكانوا مبرزين في الفتيا و القضاء.

كان ابن رشيق على جانب عظيم من العلم و الصلاح و التقوى، و قد شهد له أهل عصره بالعلم و الدين، والعدل و الورع و الصبر، وكثرة تلاوة القرآن، والتقلل من الدنيا.

فقال عنه تلميذه المنذري : ((وُصف المؤلف بأنه انتفع به جماعة، و كان من العلماء الورعين، و بيتهم معروف بالعلم و الصلاح)) التكملة لوفيات النقلة (ابن رشيق المالكي، 2001، ص 338) .

ووصفه بن فرحون أيضا : ((بأنه كان من الفقهاء الورعين، وكان شيخ المالكية في وقته... و كان عالما بأصول الدين و أصول الفقه و الخلاف و غير ذلك، و كان صلبا في دينه، و ورعا متقللا في الدنيا، بورا على إلقاء الدروس، و خدمة العلم و تلاوة القرآن ليلا و نهارا)) الديباج المذهب (ابن فرحون، د.ت، ص 333)

وبعد حياة حافلة بالعلم و التعليم و التأليف و التصنيف، توفي رحمه الله بمصر في الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنين و ثلاثين و ستمائة، وذلك باتفاق المترجمين، و دفن من الغد بسفح جبل المقطم، وقد عاش ثلاثا و ثمانين سنة و بضعة أشهر...رحمه الله و غفر (ابن فرحون، د.ت، ص 338)له و رفع درجاته في عليّين التكملة لوفيات النقلة

، الديباج المذهب (ابن فرحون، د.ت، ص 333).

2.2 مكانته و آثاره العلمية :

لقد نال الإمام بن رشيق مكانة عظيمة بين الناس عامة و بين أهل العلم و طلابه خاصة، لما جمعه من أصناف العلوم، وبما ألفه من كتب و مصنفات، إستفاد منها الناس الى يومنا هذا، و كما قال فيه بن فرحون: كان شيخ المالكية في وقته...و كان عالما بأصوال الدين و أصول الفقه و الخلاف، و غير ذلك.

و كذلك نلمس مكانته من خلال المناصب التي تقلدها رحمه الله، فقد قام بمهمة التدريس، و الذي يعد من أشرف المناصب و أعظمها، وهو عمل الأنبياء و الرسل و العلماء من بعدهم، فأفاد و أجاد و كثر عليه الطلاب و الناس، واستفاد منه خلق كثير، وتخرجوا من بعد ذلك محدثين و فقهاء و قضاة....، و كان يزاول التدريس بمسجد فسطاط بمصر كما ذكر المنذري التكملة لوفيات النقلة (المنذري، 1985، ص 333) . ولا يخفى مدى صعوبتها و مسؤوليتها.

و الوظيفة الثانية التي تولاها هي مهمة الفتوى، و ذكر بن فرحون بأنه كان على مدار الفتوى في الفقه بالديار المصرية سير أعلام النبلاء ، تاريخ الإسلام .

فمن خلال م قدمناه من أن ابن رشيق قد شغل مهمة التدريس و الفتوى نستنتج أنه كان على منزلة و مكانة في العلم فلا يتصدى لهذه المهام إلا من بلغ من العلم و الرسوخ فيه منزلة سامية. (ابن فرحون، د.ت، ص 166-601)

كما خلّف الإمام ابن رشيق مؤلفات و مصنفات عديدة، قال ابن فرحون أنه كان فقيها بمذهب مالك و درس بمصر و أفتى و صنف، كما أشار إلى ذلك أيضا تلميذه المنذري، و لكن للأسف لم تذكر لنا كتب التراجم و السير مؤلفاته بعناوينها، سوى كتابه: لباب المحصول في علم الأصول، و لم يصل إلينا غيره، وهذا الكتاب يعد جوهرة فريدة نادرة من تراثه رحمه

الله، و لعل بركة علمه كانت في تخريج نخبة من العلماء الأجلاء الذين يعتبرون من حسناته رحمه الله رحمة واسعة .

3. المطلب الثاني : التعريف بابن قدامة المقدسي

1.3 مولده ووفاته ونشأته العلمية :

ولد الموفق ابن قدامة المقدسي سنة 541هـ، بقرية جمّاعيل، بفتح الجيم و تشديد الميم، و هي قرية في جبل نابلس بفلسطين المحتلة، و تقدر المسافة بين نابلس و القدس بحوالي 70 كيلا ، كما نشأ ابن قدامة في كنف أسرة كريمة مشهورة بالعلم و الفضل و التقي و الصلاح، فقد برز منها علماء أجلاء؛ فأبوه هو الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة كان عالما فاضلا، و كان خطيبا بمسجد جمّاعيل، وأخوه الأكبر هو الشيخ محمد بن أحمد المشهور بأبي عمر وهو لا يقل علما عن الموفق، وابن أخيه هو شرف الدين أبو الحسن أحمد بن عبيد الله بن أحمد بن قدامة، كان فقيها فاضلا ، وابن أخيه أبو الفرج عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن قدامة صاحب الشرح الكبير .

قال عنه الذهبي: ((و كان مع تبحره في العلوم و تفننه، ورعا زاهدا، تقيا ربانيا، عليه هيبة و وقار، وفيه حلم و تؤدة، و أوقاته مستغرقة للعلم و العمل، و كان يفحم الخصوم بالحجج و البراهين، و لا يتحرج و لا ينزعج، وخصمه يصيح و يحترق)) سبر أعلام النبلاء (الذهبي، 1998، ص 100)

و من شدة تعبده و خشيته لله، أنه كان لا يخفف من عباداته و تنسكه، حتى لو زاره الأمراء و العظماء، فقد زاره الملك العزيز بن عبد الملك العادل مرة فصادفه يصلي، فجلس بالقرب منه إلى أن فرغ من صلاته، ثم اجتمع به، و لم يتجوز من صلاته .

و بعد حياة حافلة بالعلم و التعليم و التصنيف، توفي الموفق بن قدامة بعد أن ناهز ثمانين سنة، في دمشق يوم عيد الفطر، و كان يوم سبت سنة 620هـ، و صُلِّيَ عليه من الغد، و حضر جنازته خلق كثير، و حمل إلى جبل قاسيون فدفن بتربته تحت المغارة المعروفة بمغارة التوبة، رؤيت له منامات صالحة، رحمه الله رحمة واسعة سير أعلام النبلاء (22/ 169)، ذيل طبقات الحنابلة (107/2).

2.3 مكانته و آثاره العلمية:

لقد كان للموفق ابن قدامة رحمه الله مكانة علمية سامقة، و ذلك من خلال كتبه و مصنفاته الشاهدة بذلك، بالإضافة إلى شهادة أهل العلم و الفضل و نذكر منها:

قال تلميذه الضياء المقدسي : ((كان رحمه الله تعالى إماما في القرآن، إماما في الفسير، إماما في علم الحديث و مشكلاته، إماما في الفقه، بل أوحد زمانه فيه، إماما في علم الخلاف، أوحد زمانه في الفرائض، إماما في أصول الفقه، إماما في النحو، إماما في الحساب، إماما في النجوم السيارة و المنازل)) سير أعلام النبلاء (ابن قدامة المقدسي، 2002، ص 169).

وقال عنه بن العماد بعد أن ساق مصنفاته: ((...و انتفع بتصانيفه المسلمون عموما و أهل المذهب خصوصا، و انتشرت و اشتهرت بحسن قصده و اخلاصه و لا سيما كتابه المغني، فإنه عظم النفع به، حتى قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل المحلى و المجلى، و كتاب المغني للشيخ الموفق بن قدامة في جودتهما و تحقيق ما فيهما)) . ذيل طبقات الحنابلة (ابن العماد الحنبلي، 1986، ص 400)

و قال عنه محمد بن شاكر الكتبي: ((كان إماما حجة، مصنفا متفننا محررا متبحرا في العلوم، كبير القدر...و كان إماما في علم الخلاف، و الفرائض، و الأصول، و الفقه، و النحو، و الحساب، و النجوم السيارة و المنازل)). فوات الوفيات (159/2).

قد كان الموفق رحمه الله من المكثرين من الكتابة و التصنيف في مختلف العلوم، و قد أثرى بذلك المكتبة الإسلامية، و من تلك المصنفات :

أولا: في الفقه :

- **العمدة.**
- **الكافي.**
- **المغني شرح مختصر الخرقي.**
- **المقنع.**
- **الهادي و يسمى بعمدة الحازم.**

- تسهيل المطلب في تحصيل المذهب.
- رسالة في المذاهب الأربعة.
- الشافي.
- فتاوى وسائل منشورة.
- فقه الإمام.
- مختصر الهداية.
- مقدمة في الفرائض.
- مناسك الحج.

ثانيا: في أصول الفقه

- روضة الناظر وجنة المناظر.
- الميزان.

ثالثا:الحديث وعلومه

- تحفة الأريب في الغريب.
- مختصر العلل.
- مشيخة شيوخه.

رابعا:في أصول الدين

- البرهان في بيان القرآن.
- الإعتقاد.
- رسالة في التصريف و التصرف.
- القدر.

خامسا: في الزهد و الفضائل

- **التوابين.**
- **ذم الموسوسين و التحذير من الوسوسة.**
- **الرقة و البكاء.**
- **المتحابين في الله.**
- **فضائل عاشوراء.**
- **منهاج القاصدين في فضائل الخلفاء الراشدين.**
- **وصية بن قدامة.**

سادسا: في العلوم الأخرى

- **مقدمة في المنطق.**
- **التبيين في أنساب القرشيين.**
- **الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار.**

4. المطلب الثالث : التعريف بالكتابين"لباب المحصول في علم الأصول" لابن رشيق المالكي ، و"روضة الناظروجنة المناظر" لابن قدامة المقدسي .

1.4 التعريف بكتاب لباب المحصول في علم الأصول لابن رشيق:

بدأ كتابه بمقدمة يصور فيها مجمل موضوعات الكتاب، و طريقة ترتيبه و سبكه و تنظيمه، فقبل الدخول في صلب أي علم من العلوم لابد من نظرة شاملة موطئة للدخول في غماره، و الاستفادة من مباحثه، و ذلك ببيان اسم العلم، و تعريفه و موضوعه، و مأخذه و غايته و موضوعاته....إلخ.

و كان صنيع إبن رشيق في مقدمة كتابه أن، عرّف أصول علم الفقه، و بين الفرق بينه و بين الفقه، ثم بيّن أن أصول الفقه يدور على أربعة أقطاب:

القطب الأول: في الأحكام و أقسامها .

القطب الثاني: في الأدلة و أقسامها.

القطب الثالث: في كيفية دلالة هذه الأدلة على مدلولاتها.

القطب الرابع: في صفة من يستدل بها، و هو الناظر المجتهد، و في مقابله المقلد الذي يتعين عليه تقليده.

فالملاحظ أن الحسين ابن رشيق قد مشى على طريقة الغزالي في كتابه المستصفى في ترتيب موضوعات الكتاب و تسلسله المنطقي، في أغلب كتابه.

منهجيتهما وطريقة أسلوبهما المتبعة.

أما منهج الحسين ابن رشيق و أسلوبه في الكتاب :

لقد بين رحمه الله منهجه في مقدمة كتابه، حيث ذكر السبب الذي دفعه لاختصار كتاب المستصفى للغزالي قائلا : ((جمع فيه بين الترتيب و التحقيق و عذوبة اللفظ، و صواب المعنى مع الإحتواء على جميع مقاصد العلم، إلا أنه ربما زاد بسطا يقتضي للطالب مللا، و يوجب له إهمالا، و ينتج إخلالا و إختلالا، فإن همم المستفيدين في هذا الزمان فاترة، و رغبتهم في العناية بالعلوم قاصرة، و المقصود التوصل إلى مقاصد العلوم، بأبلغ لفظ و أدل منظوم)) .

لباب المحصول (188/1).

ثم بين منهجه و أسلوبه في التهذيب و الاختصار قائلا : ((فقصدت إلى تلخيص معانيه، و تحرير مقاصده و مبانيه، و حذف ما يوجب الملال، و يقتضي الكلال و الملال، رغبة في تقليل حجمه، و إعانة للطالب على حفظه بصغر جرمه، مع التنبيه على ما يتعين التنبيه عليه، و التنكيت بما لابد من الاشارة اليه)) لباب المحصول (188/1).

و يمكن بيان معالم منهجه من خلال النقاط الآتية:

- أن المذهب المالكي في عصر المؤلف لم يحض باعتناء و تطوير كما حضيت به باقي المذاهب الفقهية، فكانت مصنفاته متسمة بكثرة التكرار، و سوء تنظيم و ترتيب، و تباين المسائل، و عدم حصرها تحت ضوابط، مما أدى إلى مشقة الفهم و عسر التناول و بُعْدِ الإستفادة، حتى أدى ذلك إلى ترك الاشتغال به، و الإقبال على غيره، بل حتى اعتقد بعضهم أنه لا يمكن ترتيبه بل يشق و يتعذر.

و هذا ما لمحه الإمام ابن شاس الذي يعد من المعاصرين للحسين ابن رشيق المالكي، فنهزه ذلك إلى تأليف كتابه " الجواهر" ليقرب به مسائل الفقه المالكي و ييسرها، و هي التي لم تُعَب في جوهرها، و لم يكره حذاق المتفقهين منها إلا جانب العرض و التنظيم، فلاحظ بن شاس أنّ الإمام أبا حامد الغزالي قد امتازت كتبه و مؤلفاته بحسن الضبط و التنظيم، مع تحرير المسائل خاصة في الفقه و أصوله، فقام ابن شاس بإقتفاء أثره و اتباع منهجه، فألف كتاب الجواهر في الفقه المالكي على ترتيب و تنظيم كتاب الوجيز في الفقه الشافعي للغزالي، و قام باختصار المستصفى للغزالي في أصول الفقه، فانتفع الناس و العلماء بهذه الكتب، فقد اطلع على كتاب الجواهر مفتي الإسلام أبو الطاهر بن عوف و قال عنه : ((فليس في كتب المالكية في عصرنا له نظير، لاختصاره في أمهات المسائل، و لعموم بركته على عموم المشتغلين به)). طبقات المالكية (الغزالي، 1998، ص 354)

كما اطلع عليه العلامة الحسين بن رشيق نفسه فسُرَّ بهذا الكتاب بما رآه ((و فرح بترتيبه و تأصيله و تفريغه، و دعا له بالخيرات)) (الغزالي، 1998، ص 345)و من هذا المنطلق تبلورت فكرة تأليف ابن رشيق لكتابه لباب المحصول على طريقة ابن شاس في كتابه الفقهي الجواهر مستفيدا من الغزالي في الوجيز، فاختار كتاب المستصفى للغزالي الذي عُرف بالترتيب و التحقيق و عذوبة اللفظ و صواب المعنى، مع الاحتواء على جميع مقاصد العلم، و هذا لخدمة المذهب المالكي و أصوله التي

بُنِيَ عليها، فجاء كتابه في أحسن حلة و ترتيب و تحقيق، مما جعل العلماء يحتفون به و يستفيدون من دُرره، و قد اهتم المالكية دون غيرهم بكتاب المستصفى للغزالي رغم أنه شافعي المذهب أيّما إهتمام ما بين اختصار، و شرح و تعليق...إلخ.

قام ابن رشيق باختصار المستصفى للغزالي لكنه كان يأتي بحاصل عبارة الغزالي في المستصفى ملخصة دون ذكرها بنصها مختصرة، و هذا يدل على اطلاعه و حسن إقتضابه و انتقائه للعبارات اللائقة بهذا التلخيص، فكان نَفَسُهُ العلمي و ذوقه الأدبي، و رسوخه في علوم الشريعة حاضرين في سطور كتابه، و تحريراته و هذا يبرز تمكن إمامنا الحسين بن رشيق في العلوم الشرعية عامة، و علم الأصول خاصة.

و طريقته في عرض المسائل الأصولية أنّه يذكر أقوال المخالفين أولا، ثم يقرر ما ذهب إليه المالكية، مع الإستدلال له، ثم يقوم بمناقشة أدلة المخالفين نقاشا علميا، من غير إفراط و لا تفريط، يركز فيه على تحديد محل النزاع بين الأئمة، و هو مع هذا يجتهد في ذكر أقوال العلماء دون تقيد بكتاب المستصفى، ومن ثَمَّ يقوم بالاجتهاد في اختيار القول الصحيح الراجح منها دون تقليد أو تقيد بمذهب معين .

4.2 التعريف بكتاب روضة الناظر لابن قدامة :

لقد سار ابن قدامة في كتابه على منهج المتكلمين، الذي يقوم على تأسيس القواعد و إقامة الأدلة عليها، فيذكر مذاهب العلماء في المسألة مقرونة بأدلتها، ثم يذكر القول الراجح منها، مؤيدا ذلك بالبرهان و الدليل، ثم يقوم بمناقشة أدلة المخالفين و يبين وجه الخطأ فيما قالوه.

و قد بين هذا المنهج في مقدمة كتابه فقال: ((أما بعد : فهذا الكتاب نذكر فيه أصول الفقه، و الإختلاف فيه، ودليل كل قول، على وجه الإختصار و الإقتصار من كل قول على المختار، و نبين من ذلك ما نرتضيه، و نجيب على من خالفنا فيه)) . (ابن قدامة المقدسي، 2002، ص 52).

و الحق أن ابن قدامة سار على المنهج بصورة إجمالية فهو بصنيعه هذا يريد أن يجعل من كتابه في أصول الفقه المقارن، كما فعل ذلك في كتابه المغني في الفقه، فهو يشرح فيه مختصر الخرقي على مذهب الحنابلة، لكنه أضاف إليه أقوال المذاهب الأخرى مقرونة – أحيانا – بأدلتها، ثم يناقش هذه الأدلة و يبين الراجح في النهاية بقوله: ((..و لهذا يعده العلماء موسوعة في الفقه المقارن)) . مقدمة تحقيق الروضة للدكتور شعبان إسماعيل (33)

فقد كان حريصا على بيان المذهب الحنبلي في كل مسألة غالبا بعد بيان الخلاف بين المذاهب الأخرى، فأحيانا ينقل الغزالي عن الحنابلة رأيا معينا، بينما يكون في المسألة روايات أخرى لم يذكرها، فيوضح ابن قدامة ذلك، و يبين الرواية الراجحة و المرجوحة، و من أمثلة ذلك ما جاء في مسألة الفرض و الواجب و هل هما بمعنى واحد أو مختلفان ؟

يقول الغزالي: ((فإن قيل هل من فرق بين الواجب و الفرض؟ قلنا لا فرق بينهما، بل هما من الألفاظ المترادفة، كالحتم و اللازم و أصحاب أبي حنيفة - رحمهم الله – اصطلحوا على تخصيص اسم الفرض بما يقطع بوجوبه، و تخصيص اسم الواجب بما لا يدرك إلا ظنا)) .

المستصفى (212/1_213) تحقيق حمزة حافظ

و يقول بن قدامة: ((و الفرض هو الواجب على إحدى الروايتين لاستواء أحدهما و هو قول الشافعي، و الثانية الغرض آكد)). الروضة (151/1_ 152) تحقيق عبد الكريم النملة.

و من منهجه أنه غالبا ما يبدأ بالمسألة بذكر المذهب الذي يراه راجحا، ثم يتبعه برأي المخالفين و أدلتهم ثم يناقشها، و تتّسم هذه المناقشة بالدقة بصورة عامة، ثم يختم ببيان الأدلة التي تؤيد ما يرجحه، وغالبا ما ينوع الأدلة التي يوردها، مستندا إلى كلام أهل اللغة، ثم إلى القرآن و السنة و الإجماع و القياس إن وجد

ذلك، و هو في ذلك كله لا يستهين بالرأي المخالف، حتى و لو كان ضعيفا، أو ظاهر البطلان، و لذلك ينقل عن المعتزلة، و أهل الظاهر و الشيعة حتى اليهود ينقل عنهم كما جاء في باب النسخ، بالإضافة بيانه ثمرة الخلاف أحيانا في المسألة.

يحرص على أن لا يكرر العبارات، فإذا وجد الكلام متماثلا في الموضعين فإنه يحيل الكلام الأخير على الكلام الأول كما فعل في النهي حيث قال: ((...اعلم أن ما ذكرناه تتضح به أحكام النواهي؛ إذ لكل مسألة من الأوامر وزان من النواهي، وعلى العكس، فلا حاجة إلى التكرار إلا في اليسير)) ، الروضة (625/2) تحقيق عبد الكريم النملة، كذلك في ترجيح المعاني، كما أنه لا يذكر أسماء الكتب التي ينقل عنها، و كان ينقل بالنص من مراجعه، لا سيما من كتاب المستصفى للغزالي.

أما عن أسلوبه فقد تميز بـ:

- جزالة اللفظ و سهولة الأسلوب، مع وضوح في القصد و سلامة في الصيغة في الجملة، مما يجعل القارئ لا يمل و لا يسأم المطالعة و البحث فيها، كما إمتازت على وجه العموم بالسلامة من التعقيد اللفظي، و من الإغراق في خلاف العلماء في الحدود و التعاريف فجاء كتاب ابن قدامة مختصرا، كأنه لوحة علمية بديعة، متناسقة المعاني، سهلة الألفاظ، مهذبة الجوانب . ابن قدامة وآثاره الأصولية (165-161/1) .

5. خاتمة:

بعد الدراسة السابقة يجدر بنا تسجيل ما برز في الكتابين من محاسن و مميزات، و كذلك ما قد فات المصنفين من مآخذ و إستدراكات، فلا يخلو عمل بشر من مآخاذات، إذ لابد أن يعتريه بعض النقص، و ما بيناه من محاسن لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات.

ففي كتاب ابن رشيق المالكي نجد أن :

1- حجم الكتاب جاء كبيرا مقارنة مع أصله و هو المستصفى، فلو كان أقل حجما لكمل المراد من الإختصار، و لكان أسهل أخذا و إستفادة لطلاب العلم.

2- اهتمام بن رشيق الزائد عن حده بالتعريفات و أغرق فيها، من حيث الجمع و المنع و المحترزات، فلم يمر على تعريف في الكتاب إلا و نقده و ناقشه، و أتى بالتعريف الذي يرضاه، و قد لاحظ هذا جمال الدين القاسمي رحمه الله أيضا فقال في بعض تعليقاته : ((....و لو اقتصر رحمه الله على ما يختاره و يراه كان أقرب لكشف المصطلح، و لقل حجم الكتاب، و لاستراح قارئه من عناء الحوار في غير اللباب)) .

فهي مجرد بحوث لفظية عقيمة و مناقشات لا طائل من ورائها، بالإضافة إلى شغل مساحة كبيرة في عقد المقارنات بين الألفاظ حتى ضاعت المعاني الصحيحة في كثير من الأحيان

3- استطراده في بعض المسائل المتعلقة بعلم الكلام أو أصول الدين كمسألة التحسين و التقبيح العقليين، و مسألة وجوب شكر المنعم عقلا، فإن هذه المسائل من الدخيل على هذا العلم، و هي غير مفيدة في الفقه و لا الاستدلال و لا تدخل في المعنى العام لموضوع أصول الفقه.

4_ عدم وضوح بعض المسائل التي اختصرها من المستصفى، بل عبارة الغزالي أوضح منها، فقد أشار جمال الدين القاسمي على بعض منها في تعليقاته على الكتاب، فمن شروط الاختصار أن يكون غير مخل.

وفي كتاب ابن قدامة نجد أن :

1- كتاب الروضة مختصرا للمستصفى للغزالي من البداية إلى النهاية، فقد نقل فصولا كثيرة منه أحيانا باللفظ، و أحيانا أخرى بالمعنى، و مع ذلك لم يذكر المستصفى لا من قريب و لا من بعيد، و لم يذكر الغزالي إلا مرة واحدة و ذلك في مسألة " تخصيص العموم إلى أن يبقى واحد ".

و كان ينبغي عليه أن يذكر المستصفى في مقدمته كما فعل الحسين بن رشيق المالكي.

2- أهمل التعريف اللغوي كثيرا عند تعريف المسائل، و ذلك انه في غالب الأحيان يشرع ي التعريف الاصطلاحي مباشرة، دون ذكر التعريف اللغوي، و ذلك عند تعريفه للحكم، و تعريف الواجب، و تعريف المباح و المكروه، و تعريف الحرام، و تعريف الخبر، و أحيانا يهمل التعريف الاصطلاحي فلا يذكره كما في مسألة أقل ما قيل و غيرها...

3- أحيانا يعنون للمسألة و لا يذكرها، مثل ما جاء في الحكم و أقسامه، فلم يذكر شيئا عن تعريف الحكم لغة و إصطلاحا، و لا عن تقسيمه، بالإضافة إلى أنه لا يضع عناوين لكل الفصول، فيذكر الفصل في المسألة مباشرة، و الأولى أن يضع عنوانا حتى يعرف المراد من هذا الفصل.

4- أحيانا لا يصرح بالمذهب و لا القائلين به، و إنما يكتفي بعبارة " فإن قيل " فيؤخذ منها المذهب و قائلون به حيث يجعل القارئ يبحث في مراجع أخرى حتى يعلم القائلين به.

5- جاءت بعض عباراته صعبة الألفاظ، أو متداخلة المعنى، فتحتاج إلى شرح و توضيح و من أسباب هذا الغموض أنه - رحمه الله - كثيرا ما يختصر عبارة المستصفى، فيحذف عبارة يتوقف عليها فهم المعنى، فيحصل الغموض بذلك نزهة الخاطر العاطر لابن بدران (302/1)، (2/ 143).

6- التساهل في نسبة الآراء إلى المذاهب المختلفة أحيانا :

فنسب إنكار الواجب إلى المعتزلة كلهم، و الصحيح أنه قول بعضهم فقط .

7- ذكر بعض المسائل و المباحث في مكان غير مناسب له، من ذلك :

- أنه جعل تعريف التكليف لغة و اصطلاحا و شروطه بعد بحثه للأحكام التكليفية و هذا خلاف المعهود، فالأولى أن يبدأ بتعريف التكليف و شروطه، ثم يذكر الأحكام التكليفية.

- جعل باب اللغات بعد مبحث الأدلة المختلف فيها، و الأَوْلَى أن يجعل باب اللغات في أول الكتاب كما فعل جمهور الأصوليين.

8- عدم الاعتناء بذكر منشأ الخلاف، و سببه و ثمرته في المسائل الأصولية المختلف فيها إلا في بعض المسائل المعدودة.

وأخيرا فكل من ابن رشيق وابن قدامة قد قدما وشاركا في خدمة علم أصول الفقه وكل بطريقته وأسلوبه مع الاعتماد على كتاب المستصفى للغزالي رحم الله الجميع ولم يخل كتابيهما من الإبداع والإضافة العلمية .

6. قائمة المراجع:

1. ابن خلدون، ع. ر. م .(2004) .**مقدمة ابن خلدون** (تحقيق: ع. م. الدرويش). دار يعرب.
2. ابن خلكان، أ. ع. ش .(1971) .**وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان** (تحقيق: إ. عباس). دار صادر.
3. ابن رشد، أ. و. م .(1994) .**الضروري في أصول الفقه أو مختصر المستصفى** (تحقيق: ج. العلوي). دار الغرب الإسلامي.
4. ابن رشيق المالكي، ح .(2001) .**لباب المحصول في علم الأصول** (تحقيق: م. غ. جابي). دار البحوث للدراسات الإسلامية.
5. ابن سيده، أ. ح .(2000) .**المحكم والمحيط الأعظم** (تحقيق: ع. هنداوي). دار الكتب العلمية.
6. ابن عاشور، م. ط. (1341ه) .**التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح** .مطبعة النهضة.
7. ابن عاشور، م. ط .(1984) .**التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد** .الدار التونسية للنشر.
8. ابن عبد البر، أ. ع. (1387ه) .**التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**)تحقيق: م. أ. العلوي &م. ع. البكري). وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
9. ابن قدامة المقدسي، م. د .(1993) .**روضة الناظروجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل** (تحقيق: ع. ك. النملة). مكتبة الرشد.
10. ابن قدامة المقدسي، م. د .(2002) .**روضة الناظروجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل** .مؤسسة الريّان.
11. ابن قدامة، أ. م .(1968) .**المغني** .مكتبة القاهرة.
12. ابن قيم الجوزية، أ. ع .(2002) .**إعلام الموقعين عن رب العالمين** .دار ابن الجوزي.
13. ابن قيم الجوزية، م. ب. (د.ت) .**مفتاح دار السعادة ومنشورولاية العلم والإرادة** .دار الكتب العلمية.
14. ابن كثير، أ. إ .(1988) .**البداية والنهاية** (تحقيق خ. شحادة). دار الفكر.
15. **ابن الحاجب** (تحقيق م. م. بقا). دار المدني.
16. آل تيمية. (د.ت) .**المسودة في أصول الفقه** (تحقيق: م. م. عبد الحميد). دار الكتاب العربي.
17. الآمدي، أ. ح. س. (د.ت) .**الإحكام في أصول الأحكام** (تحقيق ع. عفيفي). المكتب الإسلامي.
18. البخاري، م. أ. ب .(1996) .**تيسير التحرير** .دار الفكر.
19. البخاري، م. أ. ب .(1996) .**تيسير التحرير** .دار الكتب العلمية.
20. البصري، م. ع. أ .(1983) .**المعتمد في أصول الفقه** (تحقيق: خ. الميس). دار الكتب العلمية.
21. التفتازاني، س. م. (د.ت) .**شرح التلويح على التوضيح** .مكتبة صبيح.

22. السبكي، ت. ا .(1998) .**تشنيف المسامع بجمع الجوامع**)تحقيق: س. عزيز، &ع. ربيع). مكتبة قرطبة.
23. السبكي، ت. ا. أ.، &السبكي، ت. ا. ن .(1995) .**الإبهاج في شرح المنهاج (منهاج الوصول إلى علم الأصول للقاضي البيضاوي)** .دار الكتب العلمية.
24. السبكي، ت. ع. (1413ه) .**طبقات الشافعية الكبرى**)تحقيق: م. م. الطناحي &ع. م. الحلو). هجر للطباعة والنشر.
25. السبكي، ت. ع .(1991) .**الأشباه والنظائر** .دار الكتب العلمية.
26. السبكي، ت. ع .(1999) .**رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب**)تحقيق: ع. م. معوض &ع. أ. عبد الموجود). عالم الكتب.
27. ابن رشيق المالكي، ح. (2001). لباب المحصول في علم الأصول (تحقيق: م. غ. جابي). دار البحوث للدراسات الإسلامية
28. ابن فرحون، إ. ب. ع. (د.ت) .**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** (تحقيق: م. أ. أبو النور). دار التراث.
29. ابن قدامة المقدسي، م. د .(1993) .**روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل** (تحقيق: ع. ك. النملة). مكتبة الرشد.
30. ابن قدامة المقدسي، م. د .(2002) .**روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل** .مؤسسة الريّان.
31. ابن قدامة، أ. م .(1968) .**المغني** .مكتبة القاهرة.
32. ابن قيم الجوزية، أ. ع .(2002) .**إعلام الموقعين عن رب العالمين** .دار ابن الجوزي.
33. ابن قيم الجوزية، م. ب. (د.ت) .**مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** .دار الكتب العلمية.